موقع هوفة (اوپس)

Opis à travers les siècles.

(لغة العرب) من المدن العراقية القديمة التي لم يعرف الى الان موقعها « هوفة » فان الباحثين لايزالون ينقرون عن موضعها ، ولما يهتدوا اليها . وفي ما يأتي فصل معرب عن الانكليزية لاحد هؤلاء العلماء ومن كلامه يتبين عدم قرار فكرهم في هذا الموضوع .

اكثر المشاكل البابلية متعلقة بتحقيق موقع هوفة (اوپس) الصحيح ، وعليه اصبحت معرفة حقيقة هذه المدينة القديمة ، معرفة صادقة باتة ، من اهم الامور المختصة بالبلدانيات ، والتاريخيات ، وعلم الآثار القديمة .

وعلينا قبل ان نشرع بتعيين موقع « هوفة » الحقيقي ، ان نراجع ما بينه الثقات من مواقعها العديدة ، ويجدر بنا ان نخصص قبل كل امر ، الزمن الذي زهت فيه .

واول تنويه بهوفة يرى هو في رقيم من عصر « انشاغوشنا » مؤسس السلالة الملكية الثانية ، في « ارك » في نحو سنة ٣٤٨٨ ق . م . بحيث يقال ان احد الملوك الشمريين القدماء ظفر بملك هوفة وملك كيش .

وذكرت هوفة ايضاً في رقيم « اناتم » ، ملك لجش ، الذي حكم في سنة ٢٩٠٠ ق . م ، وروى « أناتم » في رقيمه هذا ، كيف تعقب « زوزو » ملك هوفة فقهره . فيمكننا ان نستنتج مما بينوه ان « هوفة » كانت قصبة مملكة قبل نيف و ٣٠٠٠ سنة . وكثيراً ما اشار « استرابون » الى هوفة في كتبه في سنة ٢٤ ق . م . وبالتالي اذا كان تاريخ سنة ٣٤٨٨ صحيحاً ، فنعلم انها كانت مدينة ذائعة الصيت الى مدة لاتقل عن ٣٤٠٠ سنة .

وقد تعطف علينا الدكتور « لنغدن » واحاطنا علماً بان الاسمين القديمين : احدهما يوناني وهو « اوپس » والثاني بابلي وهو « هوفة » ، كانا يطلقان على « اكشك » ثم حل الاسم « هوفة » محل « اكشك » في اثناء عصر الكشيين . ولكن لم يعلم المؤلف سبب هذا التغيير في الاسماء . كما انه لايعلم ، أعثر على الدليل الحقيقي في الرقيم المسماري توجيهاً لذلك التغيير أم لا . ولكن يحتمل ان تغيير الاسم نتج من تغير موقع المدينة الذي حدث بتبدل في عقيق نهر دجلة

واذا تمكنا من ان نتحقق معرفة أوبس اليونانية وهوفة البابلية ، فلا يكون ذلك امراً واقعاً حالا .

فلندرس الآن الافادات التي تخص هوفة واوبس والتي نراها ايضاً في رقم البابليين وفي كتب اليونانيين والرومانيين التاريخية .

واول افادة موضعية ذات اهمية : ترى في رقيم صنحاريب وهي على الثور رقم ٢ في سنة ٦٩٤ او ٦٩٣ ق . م فاقتبسنا منها ما يلي .

« رجال ارض الخشين وهم من بقلوبي قوسي ، اسكنتهم نينوى ، سفنا عظيمة من شغل بلادهم صنعوا بمهارة ، بحارة من صور وصيدا وبلاد اليونان من تهوري بسبب امرتهم . على دجلة نزلوا بصعوبة في ارض يابسة تمتد الى هوفة ، ومن هوفة نقلوها (اي نقلوا السفن) على البر على مدحرجات (؟) فسحبوها حتى (المدينة ؟ ...) وفي قناة ارحتو وضعوها . »

يطلعنا نبو كدر اصر الثاني على الحلقة الثانية من سلسلة الادلة الموضعية . ويسلم ذلك الملك العظيم الى اعقابه النبأ التالي :

« شيدت سداً من تراب ارتفاعه ٥٥ بروات » فوق هوفة والى وسط « سفر » ومن شاطىء دجلة حتى الفرات ، وجعت حوالي المدينة على بعد ٢٠ « بروأ » مياهاً كثيرة تشابه سيل البحر ، وحكمت السد بالملاط والآجر ، ليحفظ من اي ضرر كان يأتي به الفيضان » .

ونرى اشارة اخرى بارزة في تاريخ هوفة في سنة ٥٥٥ الى ٥٣٨ ق . م في تاريخ كورش نبو نئيد وفيها الرقيمة الآتية :

« قهر كورش سكان أكد حين حارب جيشها في شهر تموز في هوفة على ضفة دجلة » ليذكر زينفون هوفة في سنة ٤٠١ ق . م عند رجوع العشرة الآف يوناني ذياك الرجوع التاريخي . وكان بعد المحاربة القاضية في كناسة . ويروي ما يأتي بعد ان مر بسناكة :

« قطعوا من دجلة في مدة اربعة ايام مسافة ٢٠ فرسخاً فوصلوا الى نهر فسقس الذي عرضه مائة قدم ، وعليه جسر ، وكانت ترى هنالك مدينة كبيرة آهلة بالسكان تسمى هوفة » .

ولا نزال نسمع بعد ٧٥ سنة اي في ٣٢٥ ق . م بان اوبس مدينة عامرة ويخبرنا عنها « أريان » بما يلي .

« ركب الاسكندر في اول امره نهر (أولاوس) الى البحر فاجتاز الخليج الفارسي ودخل دجلة حتى وصل معسكره ، وكان « هيفائستيون » ينتظر رجوعه هناك . وتحت إمرته جيش . ثم واصل الاسكندر سفره الى اوبس وهي مدينة واقعة على نهر دجلة وامر برفع جميع الموانع والسدود التي تحول دون طريقه ويفتح جميع القني » .

ويروي لنا استرابون في كتابه في السنة الـ ٢٤ ق . م ذاكراً دليلا فيه بعض الخطورة الموضعية اذ يقول نقلا عن « أيراتستنس » ما يأتي :

« بعد ان يقترب الفرات شيئاً فشيئاً من دجلة بقرب سور سميرام وقرية تسمى اوبس ، وبعد ان يجري في وسط بابل يفيض في الخليج الفارسي » .

ويروي هذا المؤلف عند وصفه سير مجرى دجلة ما يلي :

« بعد ان تجري دجلة جرياناً طويلا تحت الارض تظهر ثانية في « خالونيتس » وتجري الى اوبس فسور سميرام على ما يسمى ، ثم تغادر « كرديای » وكل ارض العراق الى يمناها » .

ويخبرنا ايضاً « استرابون » في وصفه لاشور :

« ان الاراضي يتخللها انهار عديدة اكبرها الفرات ودجلة . وتصلح دجلة لسير السفن وذلك من فوهتها ، والى فوق ، حتى اوبس . واوبس قرية فيها سوق للاماكن المجاورة لها » .

والمؤرخ الآتي ذكره الذي نتوقع منه ذكراً لاوبس هو « بلينيوس » ولكن مؤلفاته لا تنوه تنويهاً صريحاً بوجود هذه المدينة ولا يجوز ان يكون سبب اهماله هذا واقعاً من باب المصادفة ، ولا من وهم منه ، ولا سيما انه ذكر في مؤلفاته اسماء بلدان ربما كانت اقدم من سواها ، وقد اهمل ذكرها نظراؤه من المؤرخين . أفلا يعقل ان تكون احدى المدن التي وصفها « بلينيوس » باسماء يونانية هي بالحقيقة اوبس ؟ وذكر لانبريير الفائدة التالية بخصوص اوبس في معجمه التاريخي :

« مدينة واقعة على دجلة سميت بعد ذلك انطاكية » .

فهذه الافادة تؤكد لنا تأكيداً لاريب فيه ما ذكر . واذا اعتمدنا على ان «لانبريير» اسند روايته الى امر واقع - وتمكنا من معرفة موقع انطاكية من دون معارضة، نتمكن حين ذاك من ان نشير الى طائفة خاصة من الروابي ونقول للباحث عن الآثار القديمة : امسك بيدك المعول والمجرفة وباشر العمل . ولكن لم يتمكن المؤلف من سوء الحظ ان يحصل في اثناء بحثه او بمعونة العلماء الشهيرين ، على اي برهان يثبت ما بينه «لانبريير»، وان يحتمل ان يكون حدس «لانبريير» صحيحاً . واذا زدنا على ذلك أننا اذا تمكنا من ان نتحقق بصورة مقنعة موقع باقي البلدان التي ذكرها «بلينيوس» والمؤرخون القدماء ، فيمكننا ان نصل بطريقة الانتقاء - الى افتراض يرضي بعض الارضاء من الوجهة الموضعية، ويسوغ لنا مقابلته بالافادات التي وصلت الينا من الاساتذة القدماء .

واذا بينا الآن بالتفصيل موقع انطاكية نقلا عن بيان «بلينيوس»، فيكون ذلك في محله . ويذكر هذا المؤرخ في بيانه عن ارض العراق ما يلي :

« كانت تعود جميع اراضي العراق في السابق الى الاشوريين . وكان لايكسوها غير القرى، اللهم إلا بابل ونينوى. فجمع المكدونيون هذه الجماعات وعصروا مواطنهم تعصيراً، والذي اهاب بهم الى ذلك العمل كثرة خصب الاراضي . وفي ارض العراق مدينة « سلوقية » و « لاذقية » و«أرمية » فضلا عن المدينتين المذكورتين . وفي جزيرة العرب اناس يسمون « الاوريون » « والمردنيون » ما عدا انطاكية التي اسسها نيقانور حاكم ارض العراق فسميت (عربية) » .

ويوضح بلينيوس في فقرة اخرى في شرحه عن موقع« انطاكية عربية» توضيحاً صريحاً فنقرأ ما يأتي :

« ان بين هذه الاقوام وميشان تقع « ستاكة » وتعرف ايضا باسم اربيلية وفلسطين . ومدينتها ستاكة من اصل يوناني . وتقع تلك المدينة ومدينة سبداتة في الشرق وترى انطاكية في الغرب بين النهرين « دجلة » و « ترنادوتس » الذي اطلق عليه ايضاً انطيوخس اسم « اقامية » وهو اسم والدته » .

يأتي بنا البحث اخيراً الى مؤلفات هيرودوتس في سنة ٤٣٠ ق .م ويذكر فيها حوادث زحفه كورش الى بابل فيروي ما يلي :

« مر كورش بضفة نهر جندس حينما كان زاحفاً الى بابل . وجندس نهر ينشأ في جبال متانيسة ويجري خلال اراضي الدردنيين ثم يصب في نهر دجلة . واما دجلة فبعد ان يصب فيه نهر جندس ، يجري ماراً بمدينة اوبس فيفيض في بحر اريثرة . وعند وصول كورش الى هذا النهر (اي الى جندس) ـ ذلك النهر الذي لا يمكن اجتيازه إلا بزوارق ـ ، اقبل بعض الخيل البيض المقدسة على الماء ، وهي خيل تتدفق فيها القوة والنشاط ، وحاول ان يقطع النهر وحده ولكن حرة التيار واغرقه في اغواره » .

واما معرفة حقيقة جندس فيأتينا « هيرودتس » في فقرة اخرى بافادة متقنة كل الاتقان ، وفي وصفه الطريق الملكية المؤدية من سردس الى السوس يذكر ما يلي :

« ان عدد مواقع الاستراحة في ارمينية خمسة عشر والمسافة ٥٦ فرسخا ونصف فرسخ ... ويتخلل هذه المنطقة اربعة انهار كبيرة توجب على الانسان ان يعبرها بواسطة زورق . اولها دجلة ، والثاني والثالث يسميان باسم واحد مع انهما نهران مختلفان وكل واحد منهما يجري في موقع ممتاز عن موقع صاحبه لان النهر الذي سميته الاول ينشأ في ارمينية بينما ان الثاني يجري خارجاً من بلاد المتانيسة والنهر الرابع يعرف بجندس وهو النهر الذي حفر لسد كورش ثلاثمائة وستين فرعاً ففرقه .

من كتاب « معضلات بابل »

تأليف اللفتننت كرنل و . ر . لين من الجيش الهندي سابقاً

تعريب قسطان م . ماريني

(ل . ع) قد تنتقل بعض اسماء المواضع من موطن الى موطن آخر ربما كان بعيداً جداً . ذلك ما حدث في القديم ويحدث الى اليوم . فاسم بغداد معروف في اميركة مثلا ودار السلام معروف في افريقية . ونظن ان هوفة محفوظة في العراق نفسه باسم « الهفة » (راجع ياقوت) وان لم تكن في موقع هوفة المذكورة هنا .